السلامة والخطر

هما ضدان متعارضان فإن أغفل الأول نما الثاني، وحظي بنصيب من الإنسان في نفسه وماله وولده ومتاعه وبيئته، وبحكم مقتضى الحال يستلزم أن تكون السلامة غالية وموضع غلاوتها العناية بها وتغليبها على ما هو ضدها؛ ليعم بها الاستقرار ويعز بها الحال.

ولما كان الكيان الإنساني والمعاش الحياتي قائمًا على ما سخَّر الله لبني البشر من مسخرات لينتفع بها ، ويسخرها لمستلزمات بقائه، يبذل لها جهده، ويعمل لها ما باستطاعته للمحافظة عليها، فلا تكتمل حلقاتها إلا بالعمل لها وبذل أسبابها، فالعمل والبذل حلقتان متصلة أطرافهما لا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فالمحافظة على شيء لا يأتي دون عمل، ولا يقوم العمل إلا من أجل الوصول إلى هدف وهو المحافظة عليه.

وبما أن مسار الكد والعيش حافل بفواجع غير منظورة ومفاجآت غير محسوبة وحوادث غير متوقعة، فبعض الأشياء ظاهرها لا يدل على أنها تنطوي على خطورة، نفعها ظاهر، يقبل عليها المنتفع بها مع أنها لا تخلو من خطر إنْ لم يفطن له فسوف ينقلب نفعه ضررًا، وما قد تحدثه من حوادث مردوداتها مهلكة، وإفرازاتها موجعة، ونتائجها مؤسفة، كل ذلك كان سيئه عليه وبيلاً؛ بسبب الاتكاء على الشكل الظاهر دون البحث في الخافي.

فالسلامة من هذا المنظور هي عامل الوقاية من وبيل المحدثات وقبيل المزعجات وحصيد المؤسفات، إذ لا يكفي الركون إلى ظاهر النفع الإيجابي وإغفال الباطن السلبي الذي لا يجب أنْ يغيب عن الأنظار؛ لئلا تفجعك حوادث حريق مباغتة أو سقوط مفجع لطفل أو تسمم غذاء موجع أو هلاك نفس مفجع وتلف ممتلكات ثمينة وضياع أموال نفيسة أو ضحايا مؤلمة، تأثيراتها غائرة، تبقى في النفس قابعة.

فالسلامة والخطر ضدان، فإنْ أهمل الأول استفحل الثاني، تستشكل به الحياة، وتهددها المخاطر، وتوقع أحداثًا تفسد متعتها.

فإذا كانت الحياةُ مسرحًا كبيرًا –كما يقولون– يمثل فيها كلّ إنسان دورًا من أدوارها الحيوية، فإن السلامة من أهم أدوار الحياة التي هيأها الله للإنسان؛ لتقيه بؤس الحوادث ، يحتضنها بقوة، ويستلهمها بشدة؛ ليستقيم معاشه، ويستظل بظلالها آمنًا مستقرًا من ويلاتها، يبيت قرير العين، ويهجع هانىءَ النفس، يُوليها رعايته، ويتعهدها بفطنة، يستدركها بمدركاته، ويستذكرها بمستلهماته، ويستوقد حسّه؛ لاستجلاء مكامن الخطر قبل أن تستوفي دورتها وتحدث أحداثها فتفاجئه، فيئنّ بها تحت وطأة مفاجآتها، فلا يستطيع لجمها أو إيقاف مدها فتتبهه فواجعها، فيقع في سوء مظنته وسالب توقعاته.

وإذا كانت السلامة محور الحياة التي حولها تدور حياتنا وشؤون معاشنا، فإن محور المحاور يبدأ من سلامة البيت؛ لأنه مرتكز السكينة ومقر الإقامة ومستودع الراحة ومآل الطمأنينة، أمانته

ضرورة، وسلامته مُلحّة؛ حتى لا تغتالها الحوادث، فالحوادث غيلة المنازل، مما يفرض جودة التعامل مع مُستجدات العصر وحديث المقتنيات في عصرنا الحاضر المليء بصنوف التغييرات والتحديثات بإيجابياتها وسلبياتها، فإنْ أمعنا النظر فيما هو إيجابي وغفلنا عما هو سلبي فتلك كوامن الخطر، المتواري عن النظر، بمعنى أننا أخذنا جانبًا وأهملنا جانبًا، بينما ديننا الإسلامي بشموليته أرشدنا إلى الأخذ بأسباب الحماية؛ رعاية للمصالح ودرءًا للمخاطر؛ لاتقاء حوادث تزهق الأرواح أو تعطيل المصالح وإفساد المنافع؛ لتأكيد المراد الإلهي من عمارة الأرض؛ باعتبار أن الإنسان مرتكز حركتها وأداة نموها، زينتها سلامة تشمل نواحي الحياة.

وهذا غاية الحرص على الإنسان ومقومات عيشه وعناصر قوته؛ لتسير الحياة سيرها الطبيعي كما أراد لها بارئها ليحفظ للإنسان حياته، ولعله من أكثر المصالح الضرورية التي يستوجب رعايتها هي المنازل، ففي حفظها حفظٌ من كل شر، وفي صيانتها صيانةٌ لها من غول المحدثات؛ ليسودها سلام يذكي رحب العيش داخلها.